بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القران على
قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القران
وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة
التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا
وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله
للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي
خرجت منها البركة فالكافر خبيث وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني
الله من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجادب
امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت
كلا فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي
ارسلت به اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الايات الدالة على
التوحيد والايمان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وجنبهم سبل الضلالة وانما خص
الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا بسماع القران قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه اعلم ان الله تعالى لما ذكر الايات
المتقدمة دلائل اثار قدرته وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة البعث وذلك
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه سائر الامم الخالية في القرون
الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الاخرة العذاب العظيم
فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه
القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه
وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية بما لم ينكره عليه احد علم بذلك انما اتى به من عند
الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى
لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لمك بن
متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس عليه السلام
وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير تكون الرسالة
متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن اربعين سنة وقيل
وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على
نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل
لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسا يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب فقال يعني نوحا لقومه يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره يعني اعبدوا الله فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم معبود سواه فانه
هو الذي يستوجب ان يعبد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني انكم ان لم تقبلوا ما امركم من عبادة الله واتباع امره وطاعته
واليوم الذي خافه عليهم اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على
يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتاخر عنهم الى
اليوم العظيم قال الملا وهم الجماعة الاشراف من قومه انا لنراك يعني يا نوح في ضلال مبين يعني خطا وزوال عن

الحق

الحق بين قال يعني نوحا يا قوم ليس بي ضلالة يعني ما بي ما تظنون من الضلال ولكني رسول من رب العالمين يعني
ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا وهو قوله تعالى ابلغكم رسالات ربي يعني في تحذيركم عقابه
على كفركم ان لم تؤمنوا به وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما
يريده لنفسه وقيل النصح تحري قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل معنى الانصح حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة
مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وارشدكم الى الوجه الاصلح
والاصوب لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة
وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها
عليهم واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عذابه ان عصوه
واعلم من الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الاخرة عذابا
عظيما وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر وقيل لعل الله اطلعه على سر من اسراره فقال
واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام
استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم على رجل منكم تعرفونه وتعرفون
نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزل الله على نوح عليه السلام فعلى هذا
يكون على بمعنى مع سماه ذكرا كما سمى القران ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا يكون
على بمعنى مع اي مع رجل منكم قال الفراء على هاهنا بمعنى مع لينذركم يعني جاءكم لاجل ينذركم ولتتقوا اي ولاجل ان
تتقوا ولعلكم ترحمون لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي
والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة فكذبوه يعني فكذبوا نوحا فانجيناه يعني من الطوفان والغرق
والذين معه يعني من امن من قومه معه في الفلك يعني في السفينة واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما
عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال رجل عم في
البصيرة واعمى في البصر وانشدوا قول زهير حيث قال: واعلم علم اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عم *
قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا الى عاد وهو عاد
ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد
الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن اسحاق هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واتفقوا
على ان هودا عليه السلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة من اين حصلت فقيل انه كان واحدا من
القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم لا من الملائكة
ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس
بكلامه واحواله ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك والجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب
القوم اخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره اي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في قصة
نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوته على قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب
واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة مسبوقة على قصة قوم
نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق فحسن قوله هنا افلا تتقون يعني افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب فقال

Copyright © King Saud University